مقاصد العقيدة في القرآن والسنة

دكتور/ عبدالتواب محمد محمد أحمد عثمان
مدرس العقيدة والفلسفة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وبعد.

فإن علم المقاصد الشرعية من أجل العلوم وأنفعها، فهو دليل على حكمة المولى تبارك وتعالى في التشريع، وبه يتضح عدل الشريعة وسماحتها ورحمتها، ويظهر به أنها من لدن حكيم خبير، يعلم ما يصلح أحوال العباد، وما يعود عليهم بالنفع في معاشهم ومعادهم، وما يحقق الفائدة لهم في كل زمان ومكان، وبناء على تحقيقه يمكن الحكم بثبات هذه الشريعة وأحكامها ورسوخها عبر العصور والأزمان.

وقد اهتم العلماء -قديما وحديثا- بالبحث عن المقاصد والعلل في الأحكام الشرعية وأصول الفقه، وكثر الاستنباط فيها، وتعددت المؤلفات حولها، إلا أننا نجد قصورا واضحا في الحديث عن المقاصد في علم العقيدة، كأن العقيدة ودراستها وتعلمها ومعرفة أحكامها لا مقصد من دراستها، ولا ثمرة ترتجى منها، ولا غاية تهدف إليها.

وإلى هذا المعنى يشير الأستاذ عبد المجيد النجار، حيث يقول: "لقد استقر في الثقافة الإسلامية مصطلح الشريعة على أن المقصود به هو الأوامر والنواهي الإلهية المتعلقة بالسلوك العملي من حياة الإنسان، وذلك في مقابل العقيدة التي هي الأوامر والنواهي المتعلقة بالإيمان تصديقا قلبيا بحقائق الغيب كما جاء بها الدين، وما يتفرع عنها من الحقائق، وبناء على ذلك فإن مصطلح مقاصد الشريعة ظل يتجه في بادئ الأمر إلى مقاصد الأحكام المتعلقة بالسلوك، دون تلك المتعلقة بالإيمان باعتبار أنها عقيدة وليست شريعة، وقد درجت كثير من الدراسات المقاصدية على هذا المفهوم للمقاصد، سواء من حيث التقرير النظري، أو من حيث ضرب الأمثلة بالأحكام الشرعية العملية..... ينبغي على ما نرى أن يكون مصطلح مقاصد الشريعة شاملا

لمقاصد الدين عقيدة وشريعة، وإن كانت هذه المقاصد في الأحكام الشرعية العملية أبين، والحاجة إلى العلم بها أوكد لدوران الاجتهاد عليها، وأما العقائد فإن مجال الاجتهاد فيها مجال محدود ضيق"(١).

وحين غاب الحديث عن المقاصد العقدية الحقيقية –كما يوضحها القرآن الكريم– انصرف الباحثون والمتكلمون إلى الخوض في مقاصد ما أنزل الله بها من سلطان، واهتموا بتفريعات وإشكالات لا طائل من ورائها، وكان جل حديثهم في دفع شبه ورد إشكالات، أو الاهتمام بفروع وتخريجات لا تثبت المقاصد الحقيقية في القلوب.

وبالعودة إلى القرآن الكريم نجد أنه كثيرا ما يقرن الحديث عن آيات الاعتقاد ومسائل الإيمان وقضايا التوحيد بالتعليل وبيان الحكمة –كما هو الشأن في حديثه عن الأحكام العملية–، ويظهر واضحا عناية القرآن الكريم بعرض قضايا العقيدة مقرونة بمقاصدها التي وضعها المولى تبارك وتعالى، وآثارها على المسلم في سلوكه وأعماله، واقتران العقيدة بما يحفظ العقل، ويطمئن القلب، ويضبط المشاعر، ويزن السلوك.

إن القرآن الكريم يدعو للتأمل في آياته، والغوص في معانيه ومراميه، والتأمل في سياق عرضه لأحكام العقائد حتى نستخرج المقاصد الحقيقية للعقيدة الإسلامية.

إن حديث القرآن الكريم عن قضايا الاعتقاد يخاطب القلب فيخلعه من التعلق بغير الله تعالى، ويخاطب العقل بفهم وإدراك ووعي، فيجمع بينهما لتحقيق مقصد العقيدة الحقيقي في كتاب الله تعالى.

"فمن القرآن الكريم تستفاد مقاصد الشارع الحكيم، من إرسال الرسل، وتنزيل الكتب، وبيان العقيدة والأحكام، وتكليف المكلفين ومجازاتهم، وبعث الخلائق والحياة والكون والوجود .... فقد جاء أن المقصد من الخلق هو عبادة الله تعالى والامتثال له، وإصلاح الخلق وإسعادهم في العاجل والآجل، وقد دلت على هذا آيات كثيرة"(٢).

ومن هنا رأيت أن أكتب بحثا بعنوان [مقاصد العقيدة في القرآن والسنة]، أحاول في هذا البحث أن أعرض مقاصد العقيدة كما يصورها القرآن الكريم والسنة النبوية، مستخلصا من هذا العرض المقاصد الحقيقية للعقيدة الإسلامية التي ينبغي أن

---

(١) مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، الدكتور عبد المجيد النجار، ص ١٥، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية ٢٠٠٨م.

(٢) الاجتهاد المقاصدي حجيته ضوابطه مجالاته، الدكتور نور الدين بن مختار الخادمي، ص ٦٩، ٧٠، كتاب الأمة – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – قطر، الطبعة الأولى، جمادى الأولى ١٤١٩هـ سبتمبر ١٩٩٨م.

يهتم بها الباحثون، ويدور في فلكها الكتاب والمؤلفون.

وسوف أقتصر على إيراد الحِكَم والمقاصد العامة دون التطرق للمقاصد الجزئية أو المقاصد الخاصة بحُكْم دون حُكْم، أو مبحث دون مبحث.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يتم تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

أما المقدمة فتناولت فيها أهمية البحث، والأسباب التي دفعتني لكتابته، وخطة البحث، والدراسات السابقة.

وأما التمهيد فتحدثت فيه عن تعريف المقاصد عموما.

وأما المبحث الأول: "مقدمات في مقاصد العقائد" فتناولت فيه:

- أولا: تعريف مقاصد العقائد.
- ثانيا: أهمية تحقيق مقاصد العقيدة.
- ثالثا: أثر غياب الاهتمام بمقاصد العقيدة.
- رابعا: العلاقة بين مقاصد العقيدة ومسألة التعليل.

وأما المبحث الثاني، فتحدثت فيه عن المقاصد العامة للعقيدة في القرآن والسنة.

وأما الخاتمة فتناولت فيها أهم النتائج المستخلصة من البحث والتوصيات.

الدراسات السابقة:

تتبعت أكثر الدراسات التي تناولت المقاصد العقدية في القرآن الكريم والسنة النبوية، وكانت محصلتها كالتالي:

١ – مقاصد العقائد عند الإمام الغزالي، تأليف الدكتور: محمد عبدو، طبعة الشبكة العربية للأبحاث والنشر، وتناول فيه اشتمال العقائد على مقاصد ومصالح، وتناول جزئيات العقائد في أركان الإيمان في معرفة ذات الله تعالى وأسمائه وأفعاله والسمعيات، ثم حاول صياغة نظرية في مقاصد العقائد عند أبي حامد.

٢ – مقاصد العقائد عند الشيخ الطاهر بن عاشور، إعداد: عبد الرؤوف تاج الدين صوان، رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية – جامعة الجزائر، العام الجامعي ١٤٣٧ – ١٤٣٨هـ ٢٠١٦ –٢٠١٧م.

وتناول فيها مفهوم علم المقاصد العقدية، وفائدته، والمقاصد العقدية عند الشيخ الطاهر بن عاشور، وبعض النماذج التطبيقية.

٣ – مقاصد العقيدة في كتابات محمد المبارك، إعداد الدكتورة: حجيبة شيدخ، بحث منشور في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، العدد ٣٧ لعام: ١٤٣٧هـ ٢٠١٦م.

وتناولت فيه المقاصد العامة ثم المقاصد الجزئية، في كتابات الأستاذ محمد المبارك.

٤ – مقاصد العقائد عند الإمام العز بن عبد السلام جمعا ودراسة، إعداد الباحث: عبد القادر بو طيب، رسالة ماجستير في جامعة الجزائر – كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، العام الجامعي ١٤٣٣: ١٤٣٤هـ – ٢٠١٢: ٢٠١٣م.

وتناول فيها حقيقة مقاصد العقائد، ومقاصد العقائد عند العز بن عبد السلام، وآثار تفعيل الفكر المقاصدي في الجانب العقائدي.

٥ – المقاصد العقدية في القصص القرآني (قضايا ونماذج – أبعاد ودلالات)، الدكتور الزايدي الطويل، دار الكتب العلمية.

وتناول فيه: مفهوم المقاصد العقدية وقضاياها، والمقاصد العقدية في القصص القرآني، وتجلياتها في الواقع.

٦ – من العقيدة إلى مقاصد العقيدة، حميد العساتي، مجلة المدونة – مجلة فقهية فصلية محكمة تصدر عن مجمع الفقه الإسلامي بالهند، العدد الثالث عشر، ٢٠١٧/٧م.

٧ – مقاصد العقائد في القرآن الكريم، إعداد: محمد محمود أبو الرب، رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة آل البيت – الأردن، العام الدراسي ٢٠٠٥– ٢٠٠٦م.

وتعد هذه الرسالة أكثر الأبحاث قربا بموضوع البحث، وقد تناول فيها الباحث: التعريف بمصطلحات البحث، ثم تحدث عن مقاصد العقائد الخاصة في القرآن الكريم، فتناولها من جهة مباحث علم العقيدة:

- مقاصد العقائد في الإلهيات.
- مقاصد العقائد في النبوات.
- مقاصد العقائد في السمعيات.

ولم يتحدث عن المقاصد العامة للعقيدة، وهو موضوع البحث.

وكان عملي في البحث كالتالي:

١ - قمت باستقراء للآيات والأحاديث التي تحدثت عن العقائد محاولا استخراج الحكم والغايات المتعلقة بها.

٢ - اجتهدت في استنباط الحكم العامة، والمقاصد الكلية للعقيدة الإسلامية في الكتاب والسنة.

٣ - كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوتها إلى موطنها بعد ذِكرها.

٤ - خرجت الأحاديث النبوية من مصادرها المعتمدة، وحكمت على سندها إن لم تكن في الصحيحين وذلك من المصادر المعتبرة، وقد اجتهدت ألا أذكر إلا ما هو صالح للاستشهاد به.

٥ - اجتهدت في بيان مواطن الانتفاع بهذه المقاصد للمسلم، حتى تكون غاية البحث جامعة بين التقعيد العلمي، والتطبيق النظري.

أسأل الله تعالى أن يكون نافعا في بابه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وكتبه

د/ عبد التواب محمد محمد أحمد عثمان

مدرس العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين – القاهرة

تمهيد

تعريف علم المقاصد:

قبل الوصول إلى تعريف خاص بمقاصد العقيدة، أعرض تعريف علم المقاصد إجمالا، وما المقصود به؟

لم يكن مصطلح "مقاصد الشريعة" –بمفهومه الحالي– معروفا عند القدامى، لكنهم عبروا عن هذا المعنى بألفاظ أخرى، كقولهم: الأمور بمقاصدها، أسرار الشريعة، المصلحة والحكمة، العلل، مراد الشارع كذا، غرض الشارع كذا(١)، ومثل ذلك من الألفاظ التي تؤدي هذا المعنى.

أما عند المحدثين فقد تنوعت تعريفات العلم، ومن أشهرها:

١ – تعريف الشيخ الطاهر بن عاشور: "علم مقاصد الشريعة، هو الوقوف على المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها"(٢).

٢ – تعريف الأستاذ علال الفاسي: "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"(٣).

٣ – تعريف الأستاذ أحمد الريسوني: "مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد"(٤).

٤ – تعريف الدكتور حمادي العبيدي: "الحكم المقصودة للشارع في جميع أحوال التشريع"(٥).

وخلاصة هذه التعاريف يستفاد منها:

١ – أن مقاصد الشريعة منها نوع عام ملحوظ في جميع أنواع التشريع، لا يختص بحكم معين، أو نوع خاص من أحكام الشريعة، بمعنى أنها تُراعى في جميع أبواب الشريعة أو أكثرها، ومنها مقاصد خاصة تشير إلى الحكم والغايات التي وضعها

---

(١) ينظر: محاضرات في مقاصد الشريعة، الدكتور أحمد الريسوني، ٢٣: ٢٧، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م.

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، ٢١/٢، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤م.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، ص ٧، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الخامسة ١٩٩٣.

(٤) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، ص٧، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

(٥) الشاطبي ومقاصد الشريعة، الدكتور حمادي العبيدي، ص١١٩، دار قتيبة للنشر والتوزيع، بيروت– دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

الشارع الحكيم عند كل حكم من أحكام الشرع في باب معين، أو في أبواب متجانسة من أبواب التشريع.

٢ – أن علم المقاصد يتوقف على استقراء نصوص الشرع الحكيم في مختلف المجالات، وقراءة هذه النصوص قراءة متأنية، والغوص حول المعاني الخفية، ولا يتأتى ذلك إلا لمن تعمق في معرفة النصوص، وليس المقصود بالمعرفة هنا مجرد الحفظ والاستظهار، وإنما المقصود النظر في المعاني، فليست العبرة هنا بظاهر الألفاظ فقط.

٣ – أن إدراك الحكم والمعاني الكامنة، والآثار والنتائج المترتبة عليها، إنما يُقْصَد به تحصيل المنافع التي تعود على الإنسان، وجلب مصالح العباد، ودرء المفاسد في الدنيا والآخرة.

٤ – أنه ما من حكم من الأحكام التي شرعها الله تعالى لعباده إلا وينطوي على مصالح مرجوة، أو يدفع مفاسد متوقعة، وليس معنى عدم إدراك الحكمة، أو خفائها عن الأفهام أنها غير موجودة، غاية الأمر أن إدراك الحكم يتطلب التفاتا للأذهان، وفتحا للآفاق للتأمل في مراد الله تعالى.

المبحث الأول

مقدمات في مقاصد العقائد

أولا: تعريف مقاصد العقيدة:

من الصعوبة وضع تعريف منضبط لموضوع "مقاصد العقيدة"، وترجع صعوبة ذلك إلى ندرة المؤلفات في هذا المجال، لأنه لم يزل في بواكيره الأولى، مع قلة الاعتناء بأمره، والتهيب من الخوض فيه.

وسوف أعرض ما وقفت عليه من تعاريف لمصطلح "مقاصد العقيدة" عند الباحثين، مرجحا منها التعريف المناسب.

التعريف الأول: وضع أحدهم مفهوما يدور حول هذا المركب الاصطلاحي فقال: "ما يرمي الشارع الحكيم إلى تحققه من سلوكيات عملية ومنهجية من وراء تَشَرُّب العقائد الإيمانية بما يعود على المؤمن بصلاح العاجل والآجل"[1].

والملاحظ أن الباحث هنا لم يحدد تعريفا اصطلاحيا مباشرا، وإنما تحدث عن مفهوم يدور هذا المركب الاصطلاحي الحديث حوله.

وهذا المفهوم يسير على منوال تعريف مقاصد الشريعة، باعتبار أنهما يصدران من مشكاة واحدة، فإن تعذر التطابق في التعريفين، فلا بد أن يتقاربا.

التعريف الثاني: المقاصد العقدية هي: الأغراض والأسرار العقدية التي رام الشارع تحقيقها عند كل ركن من أركانها، أو هي المعاني والأهداف الملحوظة للعقيدة في كل أبوابها وأركانها، وفي كل جزء من أجزائها[2].

ويحدد الباحث في هذا التعريف أنه ما من ركن من أركان العقيدة، ولا جزء من أجزائها، إلا وله غاية ومقصد أراد الشارع تحقيقها، ويلحظها المسلم عند النظر في العلل والأسباب.

التعريف الثالث: مقاصد العقيدة: الأسرار والحكم التي أودعها الله تعالى في عقيدة الإسلام وأمر أولي القلوب والأبصار باعتبارها [3].

---

(1) مقاصد العقائد عند الإمام العز بن عبد السلام جمعا ودراسة، رسالة ماجستير في جامعة الجزائر – كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، إعداد الطالب: عبد القادر بو طيب، إشراف الأستاذ الدكتور: عمار جيدل، ص ٣٠، العام الجامعي ١٤٣٣: ١٤٣٤هـ – ٢٠١٢: ٢٠١٣م.

(2) المقاصد العقدية في القصص القرآني (قضايا ونماذج – أبعاد ودلالات)، الدكتور الزايدي الطويل، ص ٢٣، دار الكتب العلمية،

(3) من العقيدة إلى مقاصد العقيدة، حميد العساتي، مجلة المدونة – مجلة فقهية فصلية محكمة تصدر عن مجمع الفقه الإسلامي بالهند، العدد الثالث عشر، ٢٠١٧/٧م.

ويتضمن هذا التعريف إشارة إلى أن المقاصد التي هي الأسرار والحكم هي التطبيق والتنزيل العملي للاعتقاد، وأن الله تعالى أمر باستفراغ الجهد وبذل الوسع في سبيل تحصيلها، ولا يكون ذلك إلا لأولي الألباب وأصحاب العقول الذين يفقهون مراد الله تعالى، وليس لأحد أن يتجاسر على استخراج المقاصد والحكم إلا بعد تحصيل الملكات التي تعينه على ذلك.

التعريف الرابع: مقاصد العقائد هي: الغايات المستهدفة والنتائج والفوائد المرجوة من أركان الإيمان جملة، ومن وضع العقائد تفصيلا، أو هي الغايات التي وضعت العقيدة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"[1].

ويشير التعريف إلى أن مقاصد العقائد منها ما هو إجمالي يعود إلى جملة أركان الإيمان، ومنها جزئي أو تفصيلي، يرجع إلى كل جزئية من جزئيات العقيدة، وأن غرض العقيدة وحكمتها تحقيق مصالح العباد في الدارين.

التعريف الخامس: هي الحكم والأسرار التي انطوت عليها العقيدة الإسلامية والتي تحقق صلاح الإنسان في العاجل والآجل"[2].

التعريف السادس: هي الغايات التي وُضِعت العقائد من أجل تحقيقها في آيات القرآن الكريم، أو النظر إلى الآثار العملية على سلوك المؤمن"[3].

وقد اهتم هذا التعريف بالآثار والنتائج العملية المترتبة على العقائد، والغايات التي تهدف العقيدة إلى تحقيقها في النفوس.

التعريف المختار: تدور التعاريف السابقة كلها حول معان متقاربة تتضمن عدداً من الضوابط، أهمها:

- أن هذه الحكم والأسرار من وضع الشارع الحكيم.
- أنها ملحوظة في كل ركن وجزء من أركان العقيدة وأجزائها.
- أنها تهدف إلى تحقيق سلوكيات وآثار عملية في حياة المسلم.
- أنها تعود بالنفع على المؤمن في العاجل والآجل.

---

(1) مقاصد العقائد عند الشيخ الطاهر بن عاشور، عبد الرؤوف تاج الدين صوان، ص ٥٠، رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية – جامعة الجزائر، العام الجامعي ١٤٣٧ – ١٤٣٨هـ ٢٠١٦ –٢٠١٧م.

(2) مقاصد الشريعة في كتابات محمد المبارك، د. حجيبة شيدخ، ص ٢٩٨، بحث منشور في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، العدد ٣٧، ١٤٣٧هـ ٢٠١٦م.

(3) مقاصد العقائد في القرآن الكريم، محمد محمود أبو الرب، ص ٢٥، رسالة ماجستير بجامعة آل البيت – الأردن، غير منشورة العام الدراسي ٢٠٠٥– ٢٠٠٦م.

- أن المنوط بهم استخراج هذه الحكم والأسرار هم العلماء وأصحاب البصائر.

وبناء على هذه الضوابط يمكن صياغة تعريف يجمعها، فأقول: المقاصد العقدية هي:

"**الحكم والأسرار العامة المودعة في العقائد الإيمانية، المؤدية إلى ضبط السلوك العملي للعبد، وتعود عليه بالنفع العاجل والآجر، ويناط باستخراجها أولوا الألباب والبصائر**".

هذه التعريف يتضمن الضوابط المشار إليها سابقا، ويجمع ما تفرق في التعاريف السابقة، ولا يبتعد كثيرا عن تعريف المقاصد الشرعية بصفة عامة، باعتبار أن كليهما –المقاصد الشرعية والمقاصد العقدية– مقصودة للشارع الحكيم.

ثانيا: أهمية تحقيق مقاصد العقيدة:

١ – ترسيخ العقيدة في القلوب، فإنه كلما كان تحقيق العبد للعقيدة ظاهريا، يكتفي فيه بالدليل والاقتناع العقلي واليقين القلبي، كان اعتقاده لها ظاهريا، يوشك أن ينحل بأوهى شبهة أو اعتراض.

أما إذا غاص العبد في معاني العقيدة، واستصحب مراميها، وجال ذهنه في مقاصدها، وتمثل أهدافها، كان اعتقاده راسخا، ويقينه ثابتا، وتعامل مع العقيدة ومسائلها كأنها روح حية تسري في قلبه، فتنضبط بها الجوارح، وتتحرك بها الحياة.

٢ – اشتداد الهجمات الفكرية على المسلمين –خاصة في العصر الحديث– وتنوع وسائل وأساليب الغزو العقدي وفتنة المسلمين عن دينهم، بالتشكيك في الثوابت العقدية تارة، وصرف المسلمين عن معالم وأصول الدين تارة أخرى، ولن يستطيع المسلم مواجهة هذه التحديات، والتصدي لهذه الشبهات، إلا إذا كان عالما بدينه، عارفا بمقاصده، وفي المقدمة من ذلك مقاصد العقيدة التي أراد القرآن تثبيتها في القلوب.

إن مواجهة الغزو العقدي والفكري بدراية ووعي لا تتم إلا بتمثل العقيدة، ليس مجرد تعلم العقيدة وحفظ أدلتها، وإقامة الحجة على المخالفين، وإنما يتم ذلك بمعرفة مراد الله تعالى، ومحاولة إدراك الحكم والمعاني الكامنة وراءها.

٣ – كما أن للقلب حظا في مسائل الاعتقاد، وهو التصديق اليقيني، وللعقل منها حظ عظيم –وهو تفهمها ووضوح الدليل والبرهان عليها– فإن للجوارح نصيبها، وهو محاولة التخلق بما يصح للإنسان أن يتصف به منها، وكذلك للسلوك والأخلاق نصيب في هذا الاتصاف والتخلق.

ولذلك لما تحدث أبو حامد الغزالي عن أسماء الله الحسنى، وواجب العبد تجاه هذه الأسماء، ذكر أن الذي يقتصر على حفظها، ومعرفة معانيها، واعتقاد ثبوتها فقط، فإنه لم يحسن التعامل مع أسماء الله، ولم يأخذ حظه الوافر الكامل منها.

وبين أن من نزلت درجة حظه من معاني أسماء الله الحسنى لا يعدُ ثلاثة أمور: أولها: سماع هذه الأسماء، وثانيها: فهم معناها في اللغة، وثالثها: اعتقاد ثبوت معناها لله عز وجل.

يقول الغزالي: "اعلم أن من لم يكن له حظ من معاني أسماء الله عز وجل إلا بأن يسمع لفظه، ويفهم في اللغة معنى تفسيره ووضعه، ويعتقد بالقلب وجود معناه في الله تعالى، فهو مبخوس الحظ، نازل الدرجة، ليس يحسن به أن يتبجح بما ناله، فإن سماع اللفظ لا يستدعي إلا سلامة حاسة السمع التي بها تدرك الأصوات، وهذه رتبة تشارك البهيمة فيها، وأما فهم وضعه في اللغة فلا يستدعي إلا معرفة العربية، وهذه رتبة يشارك فيها الأديب اللغوي، بل الغبي اللغوي البدوي، وأما اعتقاد ثبوت معناه لله سبحانه وتعالى من غير كشف، فلا يستدعي إلا فهم معاني الألفاظ والتصديق بها، وهذه رتبة يشارك فيها العامي بل الصبي، فإنه بعد فهم الكلام إذا ألقي إليه هذه المعاني تلقاها وتلقنها واعتقدها بقلبه وصمم عليها، وهذه درجات أكثر العلماء فضلا عن غيرهم، ولا ينكر فضل هؤلاء، بالإضافة إلى من لم يشاركهم في هذه الدرجات الثلاث، ولكنه نقص ظاهر بالإضافة إلى ذروة الكمال"(١).

أما من علت درجته، وارتفع حظه من معاني أسماء الله الحسنى، فإنه يتجاوز هذه الثلاثة إلى حظوظ ثلاثة أخرى، أولها: معرفتها على سبيل المشاهدة والمكاشفة، وثانيها: استعظام هذه الصفات مما يشوقهم إلى الاتصاف بما يمكنهم منها، وثالثها: التخلق بالممكن من هذه الصفات والتحلي بمحاسنها.

يقول أبو حامد: "حظوظ المقربين من معاني أسماء الله تعالى ثلاثة:

الحظ الأول: معرفة هذه المعاني على سبيل المكاشفة والمشاهدة حتى يتضح لهم حقائقها بالبرهان الذي لا يجوز فيه الخطأ، وينكشف لهم اتصاف الله عز وجل بها انكشافا يجري في الوضوح والبيان مجرى اليقين الحاصل للإنسان بصفاته الباطنة التي يدركها بمشاهدة باطنه لا بإحساس ظاهر، وكم

(١) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ص ٤٥، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، طبعة الجفان والجابي – قبرص، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.

بين هذا وبين الاعتقاد المأخوذ من الآباء والمعلمين تقليدا، والتصميم عليه، وإن كان مقرونا بأدلة جدلية كلامية.

الحظ الثاني: من حظوظهم استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال، على وجه ينبعث من الاستعظام يشوقهم إلى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات، ليقربوا بها من الحق قربا بالصفة لا بالمكان، فيأخذوا من الاتصاف بها شبها بالملائكة المقربين عند الله عز وجل، ولن يتصور أن يمتلئ القلب باستعظام صفة واستشرافها، إلا ويتبعه شوق إلى تلك الصفة، وعشق لذلك الكمال والجلال، وحرص على التحلي بذلك الوصف.

الحظ الثالث: السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات، والتخلق بها، والتحلي بمحاسنها، وبه يصير العبد ربانيا، أي قريبا من الرب تعالى"(١).

ففي هذا إشارة إلى أن تحصيل مقاصد العقيدة هو الأنفع، والذي يصل به العبد إلى درجة الكمال.

ولذلك يعتبر الإمام الجويني التفطن إلى المقاصد دليل على التضلع في علوم الشريعة، وأن عدم النظر للمقاصد دليل على عدم البصيرة، فيقول: "من لم يتفطن لوقوع المقاصد في الأوامر والنواهي فليس على بصيرة في وضع الشريعة"(٢).

٤ – أن القرآن الكريم يشتمل على المقاصد العظيمة التي يطلبها كل مسلم من كتاب الله تعالى، وفي المقدمة من ذلك المقاصد العقدية.

إن المقاصد الشرعية المعتبرة في الدراسات الشرعية ترجع في جملتها تصريحا أو تضمينا إلى نصوص القرآن، وفي المقدمة من ذلك المقاصد العقدية، حتى اعتبر الفخر الرازي أن مقاصد العقيدة هي العمدة في نصوص القرآن الكريم، وأنه لم ينزل إلا لتقريرها.

يقول الرازي: "والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى"(٣).

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٥، ٤٦.

(٢) البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني إمام الحرمين أبو المعالي، تحقيق الدكتور: عبد العظيم محمود الديب، ٢٠٦/١، دار الوفاء، المنصورة – مصر، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ .

(٣) مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، ١٥٦/١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

٥ – أن الاهتمام بمقاصد العقيدة كما وردت في القرآن الكريم يبعث العقيدة في النفوس، ويعمل على إحياء الأثر الإيماني في القلوب، فتعود للعقيدة مكانتها، وتتحقق الغاية من وجود الإنسان.

ثالثا: أثر غياب الاهتمام بمقاصد العقيدة:

١ – إن غياب الاهتمام بمقاصد العقيدة يؤثر –بلا شك على العمل–، لأن العمل تابع للإيمان، فالعمل إنما يأتي تابعا لتحقيق العقيدة الصحيحة في القلوب، فإذا لم تتحقق العقيدة السليمة بمقاصدها في القلوب فلا فائدة مرجوة من العمل حينئذ، ولهذا فإننا حين نجد قصورا في الأعمال الصالحة، وابتعادا عن الأخلاق الإسلامية، نعلم قطعا أن الخلل يكمن في أن صاحبها لم يحقق العقيدة كما ينبغي في قلبه، ولم يستوعب مقاصدها، ولم يصل إلى غاياتها وأهدافها، ولم يَعِ حِكَمَها.

حين تصير العبادات صورة لا روح فيها ولا حياة في القلب حين أدائها، فإن سبب ذلك يرجع في المقام الأول إلى غياب آثار العقيدة عن القلوب، والابتعاد عن المغزى الحقيقي لها.

٢ – إن اقتصار تناول قضايا العقيدة على الجانب الجدلي الكلامي فقط – سواء في مجال إثبات العقائد أم في مجال دفع الشبهات ورد المطاعن– أفقد التناول العقدي حيويته ومخاطبته للقلوب، وتأثيره على العقول، مما جعل المسلمين يتعاملون مع قضايا العقيدة على أنها قضايا جدلية لا تأثير لها، وكأن المقصود منها جانب فلسفي دفاعي فقط.

ولذلك فإن أبا حامد الغزالي يعيب على المتكلمين الذين يقصرون غايتهم في تناول العقائد على الجانب الحجاجي فقط دون ما سواه، وأن عدم اعتنائهم بالقلب وانكشاف العقيدة فيه، وأثرها على المعرفة والسلوك، يجعلهم من العوام في تناول العقائد.

يقول: "فليعلم المتكلم حده من الدين، وأن موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج، فإذا تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج، والمتكلم إذا تجرد للمناظرة والمدافعة، ولم يسلك طريق الآخرة، ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه، لم يكن من جملة علماء الدين أصلاً، وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التي شاركه فيها سائر العوام، وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان، وإنما يتميز عن العامي بصنعة

المجادلة والحراسة، فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام"[١].

٣ – أن عدم النظر في المقاصد الشرعية يؤدي إلى التشكيك في الحكمة الإلهية، وهذا التشكيك إنما ينشأ من الجهل بمراد الله تعالى، وعدم البحث عن الغايات والمقاصد والحكم.

٤ – إن عدم النظر في المقاصد العقدية مقدمة لشيوع الخلاف بين الناس حول مسائل العقيدة، فمعرفة المقاصد وسيلة تعصم من الخلاف والشقاق.

رابعا: العلاقة بين مقاصد العقيدة ومسألة التعليل:

الذي يظهر أن مسألة المقاصد لها ارتباط بمسألة تعليل أفعال الله تعالى، وهي مسألة من المسائل التي أخذت حيزا من النقاش والخلاف بين الفرق الإسلامية، فمن أثبت الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى وشرائعه، أثبت المقاصد تبعا لذلك، والذين ذهبوا إلى نفي الحكمة والتعليل مالوا إلى نفي المقاصد، ومرد اختلافهم في المسألة يرجع إلى قضية التحسين والتقبيح العقليين، فمن قال بهما أثبت العلة، ومن نفاهما نفى العلة.

يقول ابن القيم: "وكل من تكلم في علل الشرع ومحاسنه وما تضمنه من المصالح ودرء المفاسد، فلا يمكنه ذلك إلا بتقرير الحسن والقبح العقليين، إذ لو كان حسنه وقبحه بمجرد الأمر والنهى لم يتعرض في إثبات ذلك لغير الأمر والنهي فقط"[٢].

وحاصل اختلافهم يرجع إلى أقوال، أهمها:

القول الأول: عدم التعليل

ذهب فريق إلى القول بأن أحكام الله تعالى وأفعاله غير معللة، وأنها تصدر عن القدرة والإرادة مجردة عن الحكمة والعلة وبهذا قال الأشاعرة، وهو قول ابن حزم والظاهرية.

وإذا كان ابن حزم ينفي العلة في الأفعال والأحكام مطلقا، إلا أن الأشاعرة ينفون العلة في الأفعال، ويثبتونها في الأحكام، أي ينفونها في باب العقائد، ويثبتونها في باب الفقه.

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٢٢/١– ٢٣، دار المعرفة – بيروت.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ٤٢/٢، دار الكتب العلمية – بيروت.

يقول ابن حزم: "قال الله تعالى واصفا لنفسه ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأنبياء: ٢٣] فأخبر تعالى بالفرق بيننا وبينه وأن أفعاله لا يجري فيها لِمَ؟ وإذا لم يحل لنا أن نسأله عن شيء من أحكامه تعالى وأفعاله لم كان هذا، فقد بطلت الأسباب جملة وسقطت العلل البتة، إلا ما نص الله تعالى عليه أنه فعل أمر كذا لأجل كذا، وهذا أيضا مما يسأل عنه، فلا يحل لأحد أن يقول لم كان هذا السبب لهذا الحكم ولم يكن لغيره، ولا أن يقول لم جعل هذا الشيء سببا دون أن يكون غيره سببا أيضا، لأن من فعل هذا السؤال فقد عصى الله عز وجل وألحد في الدين"(١).

فمذهب الظاهرية نفي التعليل مطلقا، سواء في أحكام الله تعالى، أم في أفعاله، ولا يجوز السؤال عن العلة، أو البحث عن الحكمة، ومخالفة ذلك معصية لله تعالى.

أما الأشاعرة فالمشهور عنهم إثبات العلة في مسائل الأحكام، ونفي العلة في جانب العقائد، أي: التفرقة بين الفقه والعقيدة.

يقول السبكي: "المشتهر عن المتكلمين أن أحكام الله تعالى لا تعلل، واشتهر عن الفقهاء التعليل"(٢).

ففي جانب الأحكام الفقهية يقول الآمدي: "أئمة الفقه مجمعة أن أحكام الله تعالى لا تخلو من حكمة ومقصود"(٣)،

ويقول: "المقصود من شرع الحكم إما جلب مصلحة، أو دفع مضرة، أو مجموع الأمرين بالنسبة إلى العبد، لتعالي الرب تعالى عن الضرر والانتفاع، وربما كان ذلك مقصودا للعبد لأنه ملائم له وموافق لنفسه"(٤).

أما في جانب أفعال الله تعالى فالأشاعرة ينفون التعليل مطلقا.

يقول الشهرستاني: "مذهب أهل الحق أن الله تعالى خلق العالم بما فيه من الجواهر والأعراض وأصناف الخلق والأنواع، لا لعلة حاملة له على الفعل، سواء قدرت تلك العلة، نافعة له أو غير نافعة، إذ ليس يقبل النفع والضر، أو قدرت تلك العلة

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، ١٠٣/٨، دار الآفاق الجديدة – بيروت.

(٢) الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي، ٤١/٣، دار الكتب العلمية -بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، ٢٨٥/٣، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.

(٤) المرجع السابق ٢٧١/٣.

نافعة للخلق، إذ ليس يبعثه على الفعل باعث، فلا غرض له في أفعاله ولا حامل، بل علة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه"(١).

فهو ينفي العلة سواء كانت عائدة إلى الله تعالى، أو عائدة إلى الخلق، فلا غرض لله تعالى في الخلق، ولا باعث على الفعل.

ويقرر الآمدي أن هذا مذهب المتكلمين وأكثر الإلهيين والفلاسفة والحكماء، فيقول: "مذهب أهل الحق أن الباري تعالى خلق العالم وأبدعه لا لغاية يستند الإبداع إليها، ولا لحكمة يتوقف الخلق عليها، بل كل ما أبدعه من خير وشر ونفع وضر، لم يكن لغرض قاده إليه، ولا لمقصود أوجب الفعل عليه... ووافقهم على ذلك طوائف الإلهيين وجهابذة الحكماء المتقدمين"(٢).

ويقول الباقلاني: " فإن قال قائل: فهل تقولون إن صانع العالم صنعه بعد أن لم يصنعه لداع دعاه إلى فعله ومحرك حركه وباعث بعثه وغرض أزعجه وخاطر اقتضى وجود الحوادث منه، أم صنعه لا لشيء مما سألت عنه؟ قيل: إنه تعالى صنع العالم لا لشيء مما سألت عنه. فإن قيل: وما الدليل على ذلك؟ قيل: الدليل عليه أن الدواعي المزعجات والخواطر والأغراض إنما تكون وتجوز على ذي الحاجة الذي يصح منه اجتلاب المنافع ودفع المضار، وذلك أمر لا يجوز إلا على من جازت عليه الآلام واللذات وميل الطبع والنفور، وكل ذلك دليل على حدوث من وصف به وحاجته إليه، وهو منتف عن القديم تعالى، وكذلك الأسباب المزعجة المحركة الباعثة على الأفعال إنما تحرك الغافل وتنبه الجاهل وتخطر للخائف والراجي الذي يخاف الاستضرار بترك الأفعال ويرجو بإيقاعها الصلاح والانتفاع، والله يتعالى عن ذلك، لأنه عالم بما يكون قبل أن يكون، وبما تؤول إليه عواقب الأمور، ويعلم السر وأخفى، ولا يجوز على من هذه صفته خطور الأمر بباله، كالذي لم يكن عالما به، ولا أن تبعثه الدواعي والبواعث على أفعاله"(٣).

ويعلل بدر الدين الزركشي الفرق بين جواز التعليل في الفقه والأصول، ونفي التعليل في مسائل الاعتقاد، بالفرق بينهما، فيقول: "نقل ابن الحاجب في الكلام على

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام، عبد الكريم الشهرستاني، حرره وصححه: الفريد جيوم، ص ٣٩٧.

(٢) غاية المرام في علم الكلام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، ص ٢٢٤، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.

(٣) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ص ٥٠- ٥١، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

السبر والتقسيم إجماع الفقهاء على أنه لا بد للحكم من علة، واستشكل ذلك بالأصل المشهور أن أفعال الله لا تعلل بالغرض. قلت: ولا منافاة بينهما لأن الأحكام غير الأفعال"(١).

وقد أُجيب عن هذه التفرقة بين نفي التعليل في العقائد وإثباته في الأصول بما ذكره الأستاذ البوطي -رحمه الله-، حيث قال: "قولهم في الأصول: أحكام الله مشروعة لمصالح العباد، وقولهم في علم الكلام: أفعال الله لا تعلل، غير واردين على مراد واحد لهم بالعلة، فالعلة التي يتحدثون عنها في علم الكلام هي العلة العقلية التي يقصدها الفلاسفة، وهي ما يوجب الشيء لذاته، والدليل على ذلك هو أن أساس علم الكلام هو فلسفة العقيدة الإسلامية، ورد أباطيل الحكماء والفلاسفة بنفس موازينهم التي يتداولونها، فلا جرم أن مصطلحاتهم في البحث إنما هي عين مصطلحات المناطقة والحكماء، وأن قصارى همهم هو إبعاد التعليل الفلسفي عن أن يتسرب إلى خلق الله وأفعاله في أذهان المسلمين .... ولم يثبت حتى عند المعتزلة أنفسهم أنهم عللوا أفعال الله تعالى بالعلة الحقيقية المجردة.

أما مراد أهل السنة بالعلة التي يثبتونها للأحكام في بحث الأصول، فهو العلة الجعلية التي تبدو لنا كذلك، إذ جعلها الله تعالى موجبة لحكم معين، بمعنى أنه أناط وجوب ذلك الحكم بوجودها. فمطمح نظر علماء الكلام هو البحث في أصل الخلق من حيث إثبات صفات الكمال لله سبحانه وتعالى ونفي صفات النقص عنه، ومطمح نظر الأصوليين هو البحث فيما سنه من النظام والتشريع في الكون من حيث الخضوع لنظامه والأخذ بتشريعه"(٢).

القول الثاني: التعليل

وإليه ذهب الجمهور، وأكثر الفقهاء، والمعتزلة، والكرامية. إلا أن المعتزلة يقولون بوجوب ذلك على الله تعالى، وأن هذه الحكمة تعود إلى المخلوق، وهي نفعه والإحسان إليه، وذلك بناء على أصلهم في القول بوجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى.

---

(١) البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ١٥٦/٧، دار الكتبي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ص ٨٦: ٨٨ بتصرف، مؤسسة الرسالة، بدون.

يقول القاضي عبد الجبار: "لم يمتنع أن يقول: إن الله سبحانه ابتدأ الخلق لعلة، تريد بذلك وجه الحكمة الذي له حَسُن منه الخلق، فبطل على هذا الوجه قول من قال: إنه تعالى خلق الخلق لا لعلة، لما فيه من إيهام أنه خلقهم عبثا لا لوجه تقتضيه الحكمة"(١).

إلا أن الجمهور يرون أن كل ما يصدر عن الله تعالى إنما يكون بحكمة بالغة سواء في ذلك فعله أو أمره، وأقروا بعموم قدرة الله على كل شيء، وأنه الخالق لكل شيء، فنزهوا الله تعالى عن إيجاب شيء عليه، ولم يوجبوا عليه إلا ما أوجبه هو جل وعلا على نفسه، كما أقروا له بالحكمة في كل فعل، وأنه لم يأمر جل وعلا إلا بكل ما هو حسن، ولم ينه إلا عن كل ما هو قبيح.

يقول ابن تيمية: " وأما السؤال عن تعليل أفعال الله، فالذي عليه جمهور المسلمين – من السلف والخلف – أن الله تعالى يخلق لحكمة، ويأمر لحكمة، وهذا مذهب أئمة الفقه والعلم، ووافقهم على ذلك أكثر أهل الكلام: من المعتزلة والكرامية وغيرهم"(٢).

المبحث الثاني

المقاصد العامة للعقيدة في القرآن والسنة

مع استعراض آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية التي تحدثت عن العقائد أمكنني استخلاص بعض المقاصد العامة للعقيدة على النحو التالي.

١ – إثبات الوحدانية ووجوب إفراد الله بالعبادة

إن أول مقصد سعى الإسلام إلى تحقيقه في النفوس من خلال آيات وأحاديث العقائد هو إثبات وحدانية الله تعالى، وما ينبني عيها من وجوب إفراده تعالى بالقصد والتوجه، وعدم إشراك غيره في العبادة.

فقد استدل القرآن الكريم على وحدانية الله تعالى بأدلة عقلية يمكن صياغتها بطريقة منطقية، قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الأنبياء: ٢٢]،

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسدابادي، تحقيق الأستاذ: محمد علي النجار، والأستاذ: عبد الحليم النجار، مراجعة الدكتور: إبراهيم مدكور، إشراف الدكتور: طه حسين، جزء التكليف ٩٢/١١،

(٢) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ٣٧٧/٨، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـــ ١٩٩٥م.

ففي أمر الخلق بين سبحانه وتعالى أن الخلق لا يكون سدى، وليس إيجاد الله تعالى للمخلوقات عبثا دون حكمة، بل الحكمة مقصودة من الخلق، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[الأنبياء: ١٦]، هذه الحكمة تتمثل في إفراده تعالى بالعبادة كما أمر، ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾[الأنعام:١٠٢]، فقد رتب المولى تبارك وتعالى الأمر بالعبادة على خلقه تعالى كل شيء.

وجاء هذا المعنى واضحا حين أمر الله تعالى بالعبادة؛ لأنه الخالق، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[البقرة: ٢١].

وتظهر حكمة الخلق جلية في نفي العبث عن خلقه، وبيان أنه منزه عن ذلك، وأن غاية الخلق المطلوبة من العباد نفي الشرك عنه عز وجل، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٥٥-١١٧].

يقول الزمخشري في تفسير الآية: "ما خلقناكم للعبث، ولم يدعنا إلى خلقكم إلا حكمة اقتضت ذلك، وهي: أن نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي، ثم نرجعكم من دار التكليف إلى دار الجزاء، فنثيب المحسن ونعاقب المسيء"(١).

مع ملاحظة أن الزمخشري يشير إلى الحكمة بطريق القصر الذي يفيد الوجوب على الله تعالى، كما هو قول المعتزلة في ذلك.

ويبين البيضاوي العلة من الخلق كما توضحها الآية الكريمة، فيقول: "أي: لم نخلقكم تلهياً بكم، وإنما خلقناكم لنتعبدكم، ونجازيكم على أعمالكم، وهو كالدليل على البعث"(٢).

ويشير القرآن الكريم إلى غاية وحكمة الإقرار بالوحدانية - في جانب الربوبية وجانب الألوهية- وأن المقصود منها هو العبادة لله تعالى، ففي جانب الربوبية قال

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ٢٠٦/٣، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ٩٧/٤، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

تعـــــــــــــــالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾[مريم:٦٥]، فرتب الأمر بالعبادة على الإقرار بربوبية الله تعالى.

وفي جانب الألوهية قال تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾[طه:١٤]، فرتب الأمر بالعبادة على إلوهية الله تعالى على خلقه.

وجمع سبحانه بين حكمة ربوبيته على خلقه وألوهيته في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ [آل عمران:٥١].

هذه الحكمة –وحدانية الله تعالى وعبادته– ملحوظة في كثير من العقائد كما أخبر القرآن الكريم، فهي الغاية من إرسال الرسل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[الأنبياء:٢٥].

وهي حكمة ومقصد إنزال الكتب على رسل الله تعالى جميعا، قال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾[الزمر: ٢].

٢ – تنزيه الله تعالى

إن من أعظم مقاصد العقيدة تنزيه الله عز وجل، وإثبات كل كمال وجلال له، ونفي كل معاني النقص عنه.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾[الحشر: ٢٢-٢٤].

فقد أثبتت الآيات صفات الله تعالى وأسماءه الحسنى، وكانت النتيجة بعد ذكر الصفات تسبيح المخلوقات جميعها في السماوات والأرض.

وقال عز وجل: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾ [الأعلى:١-٣]

يقول الرازي: "والسورة هاهنا مذكورة لبيان وصفه تعالى بما لأجله يستحق الحمد والثناء والتعظيم ..... أما قوله تعالى: الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى فاعلم

أنه سبحانه وتعالى لما أمر بالتسبيح، فكأن سائلا قال: الاشتغال بالتسبيح إنما يكون بعد المعرفة، فما الدليل على وجود الرب؟ فقال: الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى"(١).

وبين القرآن أن من مقاصد إرسال الرسل الإيمان بالله تعالى، والمداومة على تسبيحه عز وجل بكرة وأصيلا، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩ ﴾[الفتح:٨-٩].

يقول الخازن: "ثم بين فائدة الإرسال فقال تعالى: ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ فالضمير فيه للناس المرسل إليهم، وَتُعَزِّرُوهُ يعني: ويقووه وينصروه، والتعزير: نصر مع تعظيم، وَتُوَقِّرُوهُ يعني: وتعظموه، والتوقير: التعظيم والتبجيل، وَتُسَبِّحُوهُ من التسبيح الذي هو التنزيه من جميع النقائص"(٢).

ومن تمام معرفة الله وتنزيهه شكر الله تعالى على نعمه، وقد جعل الله عز وجل الشكر مقصدا، فهو غاية لهداية الإنسان ومعرفته للطريق القويم، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[الإنسان:٣]، فهداية الله تعالى الإنسان مقصود منها أن يصل إلى شكر الله تعالى.

وبين سبحانه أن تدبير الأمر من السماء إلى الأرض، وعلم الله تعالى، وخلقه الإنسان على الترتيب المعروف الموصوف في القرآن، وتسوية خلقه أحسن ما يكون، مقصود منه شكر الإنسان ربه، وقليل من يفعل ذلك من العباد، فقال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩ ﴾[السجدة: ٥-٩].

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ١٢٧/٣١، ١٢٨، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، ١٥٥/٤، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣ – كسب الجزاء الأخروي

إن من أعظم مقاصد العقيدة كما ورد في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ تعالى تحصيل الجزاء الأخروي، والفوز بالجنة والنجاة من النار، وهي الغاية العظمى للاعتقاد، والمقصد الأسمى للعمل في الدنيا.

وقد رتب المولى تبارك وتعالى دخول الجنة، والفوز بالنعيم على الإيمان والأعمال الصالحة في كثير من الآيات القرآنية.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾ [الطلاق:١١].

وقال أيضا: ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[السجدة:١٩].

وقال: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[التغابن:٩].

وعن عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل"(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كنا مع النبي ﷺ في مسير، قال: فنفدت أزواد القوم، قال: حتى هم بنحر بعض حمائلهم، قال: فقال عمر: يا رسول الله، لو جمعت ما بقي من أزواد القوم، فدعوت الله عليها، قال: ففعل، قال: فجاء ذو البر ببره، وذو التمر بتمره، قال: وقال مجاهد: وذو النواة بنواه، قلت: وما كانوا يصنعون بالنوى؟ قال: كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء، قال: فدعا عليها، قال: حتى ملأ القوم أزودتهم، قال: فقال عند ذلك: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما، إلا دخل الجنة"(٢).

وبين أن الدرجات العلى من الجنة، والمنازل الرفيعة، والمكانة العالية يوم القيامة إنما هي غاية للإيمان وعمل الصالحات، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرعد:٢٩].

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب "الأنبياء"، باب "قوله (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم)، رقم "٣٢٥٢".
مسلم: كتاب "الإيمان"، باب "الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا"، رقم "٢٨".

(٢) صحيح مسلم، كتاب "الإيمان"، باب "من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار"، رقم "٤٤".

وأخبر ﷺ أن دخول الجنة متوقف على الإيمان بالله تعالى، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: لما كان يوم خيبر، أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ، فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى مروا على رجل، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: "كلا، إني رأيته في النار في بردة غلها -أو عباءة-" ثم قال رسول الله ﷺ: "يا ابن الخطاب، اذهب فناد في الناس، أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون"، قال: فخرجت فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون[1].

وبين أن معرفة أسماء الله تعالى الحسنى طريق موصل إلى دخول الجنة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة"[2].

وقرر القرآن الكريم أن بداية الخلق وإعادته مرة أخرى، ورجوع الناس جميعا إلى الله تعالى يوم القيامة مقصود به إثابة الطائعين وعقاب العاصين، فقال: ﴿ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [يونس:٤].

وأكد على أن النجاة من عذاب النار مقصد أصيل للإيمان بالله تعالى، وما يتبعه من أعمال صالحة، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾.

وبمفهوم المقابلة فإن عدم الإيمان بالله تعالى ورسوله الكريم غايته عذاب النار يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ﴿١٣﴾ ﴾[الفتح:١٣]، ويترتب هذا العقاب -بطريق الأولى- على من يدعي الألوهية مع الله تعالى ويشاركه في ملكه، قال: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[الأنبياء:٢٩].

وفى المقابل فإن من حقق التوحيد الكامل، وجانب الشرك، فهو آمن من عذاب الله تعالى يوم القيامة، عن معاذ رضي الله عنه قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير

---

(١) صحيح مسلم: كتاب "الإيمان" باب "باب غلظ تحريم الغلول، وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون"، رقم "١٨٢".

(٢) متفق عليه: البخاري: كتاب "التوحيد"، باب "إن لله مائة اسم إلا واحدا"، رقم "٦٩٥٧".

مسلم: كتاب "الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار"، باب "في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها"، رقم "٢٦٧٧".

فقال: "يا معاذ هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله". قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا". فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلوا"(١).

وعن أبي هريرة ﷺ في حديث طويل: "..... حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده، وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج، ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يخرجوهم، فيعرفونهم بعلامة آثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيخرجونهم قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء يقال له ماء الحياة، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل... "(٢).

٤ – الهداية إلى الصراط المستقيم

إن تحصيل الهداية، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور مقصد أصلى من مقاصد العقيدة في القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد بين سبحانه أن النتيجة المباشرة للإيمان بالله تعالى هي هداية القلب واستقامته، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١].

وقد رتب النبي ﷺ الهداية على الإيمان بربوبية الله تعالى، عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ، قال: سألت عائشة أم المؤمنين ﷺ، بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: "اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"(٣).

وهي غاية إرسال الرسل وبعثتهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ

(١) متفق عليه: البخاري: كتاب "الجهاد والسير"، باب "اسم الفرس والحمار"، رقم "٢٧٠١".
مسلم: كتاب "الإيمان"، باب "من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار"، رقم "٤٩".
(٢) متفق عليه: البخاري: كتاب "الرقاق"، باب "الصراط جسر جهنم"، رقم ٦٢٠٤".
مسلم: كتاب "الإيمان"، باب "معرفة طريق الرؤية"، رقم "٢٩٩".
(٣) صحيح مسلم: كتاب "صلاة المسافرين وقصرها"، باب "الدعاء في صلاة الليل وقيامه"، رقم "٢٠٠".

تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٨]، فقد بينت الآية أن الإيمان بالرسول الكريم واتباعه ينتج الهداية على الطريق القويم.

وقال عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ ﴾[النساء:٦٤]، فقد بينت الآية الكريمة بطريق القصر أن مقصد إرسال الرسول طاعة الله عز وجل.

والإيمان بالرسل يقتضي السير على طريقهم، والاهتداء بهديهم، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾[الأنعام:٩٠].

ويتضح هذا المقصد بصورة جلية في غاية إنزال الكتب على رسل الله تعالى، فقد بين تبارك تعالى إن إنزال الكتب من أجل إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهدايتهم إلى طريق الله تعالى، فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم:١]، وقال: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة:١٥-١٦].

وقد نزلت الكتب على رسل الله تعالى مفصلة مبينة من أجل هداية الخلق إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩]، وقال: ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[الأعراف:٥٢].

وهذا المقصد واضح في إنزال الكتب على كل الأنبياء والرسل، فقد بين القرآن الكريم أن علة إنزال الكتاب على موسى عليه السلام هداية الخلق، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[البقرة:٥٣].

ودوام الهداية مرتبط بالإيمان بكتاب الله تعالى، قال ﷺ: "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله"(١).

وفي الإيمان بالملائكة ما يبعث على الهداية إذا لاحظ الإنسان ملازمتها له، وتسجيلها أعماله التي تصدر عنه، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[الإنفطار:١٠-١٢].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب "الحج"، باب "حجة النبي" رقم "١٢١٨".

قال ابن كثير: "وإن عليكم لملائكةً حَفَظَة كراما فلا تقابلوهم بالقبائح، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم"(١).

فملاحظة الملائكة الكتبة، والإيمان بهم، دافع إلى ترك المعصية، والحياء من الله تعالى، فهي دافع إلى الاستقامة على الطريق، "وإنما فائدتها أن العبد إذا علم بها استحيا وترك المعصية"(٢).

ويلاحظ البقاعي هذا المعنى عند تفسير الآيات، وأن المقصود بها أن الإيمان بالملائكة يدفع إلى الاستقامة على الطريق، والهداية الصحيحة، فقال: "الملائكة لهم على أعمالكم غاية العلو، فهم بحيث لا يخفى عليهم منها جليل ولا حقير.... راسخون في وصف الكتابة، يكتبونها في الصحف كما يكتب الشهود بينكم العهود، ليقع الجزاء على غاية التحرير.... فكيف يكون مع هذا تكذيب بالجزاء على النقير والقطمير؟! هل يكون إحصاء مثاقيل الذر من أعمالكم عبثاً؟! وهل علمتم بملك يكون له رعية يتركهم هملاً فلا يحاسبهم على ما في أيديهم وما عملوه؟!"(٣).

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي ﵁، قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك –قال أبو معاوية: بعدك– قال: " قل: آمنت بالله، ثم استقم"(٤).

ويبين النبي ﷺ أن الإيمان باليوم الآخر وما يسبقه من أحداث سبب لاستقامة العبد على طريق الهداية، عن أبي سعيد الخدري ﵁، أن النبي ﷺ كان يقول: "كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر متى يؤمر"(٥).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ٣٤٤/٨، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٢) حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد، حققه وعلق عليه الدكتور: علي جمعة، ص ٢٥٨، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ٣٠٥/٢١-٣٠٦ ، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.

(٤) مسند أحمد، رقم "١٥٤١٦".

(٥) مسند أحمد، رقم "١١٦٩٦"

صحيح ابن حبان، باب "الأذكار"، "ذكر الأمر لمن انتظر النفخ في الصور أن يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل"، رقم "٨٢٣"، بإسناد صحيح على شرط الشيخين.

وبطريق المقابلة يقرر القرآن الكريم أن الضلال والبعد عن الهداية الحقة إنما يكون بالكفر بأركان الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء:١٣٦].

٥ – تزكية النفس

اعتنت نصوص العقيدة في القرآن الكريم والسنة النبوية عناية بالغة بالنفس وأحوالها، وطرق تزكيتها وتهذيبها، وتحسين الأخلاق، وتزكية الروح، وبينت أن مقاصد العقيدة تهذيب الأخلاق، وتزكية الأنفس.

فبين النبي ﷺ أن الإيمان الكامل لا بد أن يعتني بالأخلاق، ويشتمل على مفرداتها، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون –أو بضع وستون– شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"(١).

وكمال الإيمان مرتبط بكمال الأخلاق، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا"(٢).

وفي جانب الإيمان بالرسل أخبر المولى تبارك وتعالى أن بعثة النبي ﷺ كان من مقاصدها تزكية النفس وتطهيرها، قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[آل عمران:١٦٤]، فبين الله عز وجل أن مقصد إرسال الرسول تلاوة الآيات، وتزكية الأنفس، وتعليم الكتاب والحكمة.

وهذا مقصد إرسال الرسل جميعا، قال سبحانه: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾[الحديد:٢٥].

وبين أن تهذيب الأخلاق، وصيانة الأنفس، وتطهيرها من دنس الأخلاق، ورذائل العادات، من أهم مقاصد إرسال الرسل، قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٣٦]، فحماية الأخلاق، وتهذيب النفوس، والابتعاد عن الفساد في الأرض، من أهم غايات بعثة الرسل صلوات الله عليهم.

(١) مسلم: كتاب "الإيمان"، باب "شعب الإيمان"، رقم "٥٨".

(٢) أبو داود: كتاب "السنة"، باب "الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه"، رقم "٤٦٨٢".

الترمذي: كتاب "أبواب الرضاع"، باب "ما جاء في حق المرأة على زوجها"، رقم "١١٦٢".

مسند أحمد، رقم "١٠١٠٦"، وهو صحيح.

وبين ﷺ أن من مقاصد بعثته تهذيب الأخلاق، وتحسينها، وتتميم مكارمها، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"(١).

وفي اعتقاد المؤمن باليوم الآخر، وما فيه من حساب وثواب وعقاب، ما يدفعه إلى الابتعاد عن الأخلاق السيئة، وتجنب الصفات القبيحة، والاتصاف بجميل الأخلاق ومحاسن العادات، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[المطففين: ١-٦].

فبين الله تعالى في هذه الآيات أن اعتقادهم بالبعث بعد الموت، وبالحساب والجزاء يوم القيامة ينبغي أن يكون دافعا لهم إلى ترك التطفيف، والاعتدال في سائر الأحوال.

يقول البيضاوي: " فإن من ظن ذلك لم يتجاسر على أمثال هذه القبائح، فكيف بمن تيقنه"(٢).

وبين ﷺ أن من تمام الإيمان حسن الخلق، وأن علامة الإيمان بالله تعالى اليوم الآخر أن يكون حسن الأخلاق، فهو مقصد من مقاصد الإيمان، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"(٣).

وبقدر نقصان الأخلاق عند المؤمن ينقص الإيمان، عن أبي شريح ﷺ أن النبي ﷺ قال: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن" قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: "الذي لا يأمن جاره بوائقه"(٤).

(١) مسند أحمد، رقم "٨٩٥٢"، بسند صحيح.
الأدب المفرد للبخاري، باب "حسن الخلق"، رقم "٢٧٣".

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ٢٩٤/٥، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

(٣) متفق عليه: البخاري: كتاب "الأدب، باب "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره"، رقم "٥٦٧٢".
مسلم: كتاب "الإيمان"، باب "الحث على إكرام الجار والضيف"، رقم "٤٧".

(٤) صحيح البخاري: كتاب " الأدب"، باب "إثم من لا يأمن جاره بوائقه"، رقم "٥٦٧٠".

٦ – التوازن النفسي

إن من مقاصد آيات العقيدة في القرآن الكريم تحقيق التوازن النفسي للمؤمن، فيكون صاحب نفس سوية، من غير إفراط ولا تفريط، ويظهر هذا واضحا في قول الله تعالى في قضية الإيمان بالقضاء والقدر، يقول تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٢–٢٣].

ففي هذه الآية الكريمة يبين المولى تبارك وتعالى نتيجة الإيمان بالقدر في حياة المسلم، وأن آثار ذلك تظهر في عدم التأسف والأسى على ما مضى وفات، وعدم البطر والفرح المبالغ فيه بما يكسبه الإنسان.

قال ابن كثير: "أي: أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم، فلا تأسوا على ما فاتكم، فإنه لو قدر شيء لكان"[١].

وقال الشوكاني: "أي: اختبرناكم بذلك لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم منها، أي: أعطاكم منها، فإن ذلك يزول عن قريب، وكل زائل عن قريب لا يستحق أن يفرح بحصوله، ولا يحزن على فواته، ومع أن الكل بقضاء الله وقدره، فلن يعدو أمر ما كتب له، وما كان حصوله كائنا لا محالة فليس بمستحق للفرح بحصوله ولا للحزن على فوته"[٢].

وبين ﷺ أن الإيمان بالقضاء والقدر ينتج السعادة في الدنيا، وأن السخط وترك الرضا بالقضاء والقدر يوجب الشقاء في الدنيا، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "من سعادة ابن آدم استخارته الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله عز وجل"[٣].

وبين القرآن الكريم أن الإيمان الحقيقي الذي لا يشوبه شائبة شرك حقيق أن يوصل صاحبه إلى الأمن والأمان في الدنيا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم

---

(١) تفسير ابن كثير، ٢٧/٨.

(٢) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ٢١١/٥، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

(٣) سنن الترمذي: أبواب "القدر"، باب "ما جاء في الرضا بالقضاء"، رقم "٢١٥١"، وقال: حديث غريب. مسند أحمد: رقم "١٤٤٤".

بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام:٨٢]، والمقصود بالظلم في الآية: الشرك، كما ورد في حديث النبي ﷺ عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: "إنه ليس بذاك، ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾"[1].

وأخبر الله عز وجل أن الطمأنينة والأمان النفسي، والابتعاد عن الوهن والضعف نتيجة للإيمان بالله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[آل عمران:١٣٩].

وأن الإيمان بالملائكة، ومواقفهم من المؤمنين، داع إلى تثبيت المؤمنين، قال سبحانه: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[الأنفال: ١٢].

وبينهـــا المولى تبارك وتعـــالى عن طريق ضرب المثل، فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾[الزمر:٢٩].

قال الطاهر بن عاشور: " وهذا تمثيل لحال المشرك في تقسم عقله بين آلهة كثيرين، فهو في حيرة وشك من رضى بعضهم عنه وغضب بعض، وفي تردد عبادته إن أرضى بها أحد آلهته، لعله يغضب بها ضده، فرغباتهم مختلفة وبعض القبائل أولى ببعض الأصنام من بعض، قال تعالى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾، ويبقى هو ضائعا لا يدري على أيهم يعتمد، فوهمه شعاع، وقلبه أوزاع، بحال مملوك اشترك فيه مالكون لا يخلون من أن يكون بينهم اختلاف وتنازع، فهم يتعاورونه في مهن شتى، ويتدافعونه في حوائجهم، فهو حيران في إرضائهم، تعبان في أداء حقوقهم، لا يستقل لحظة ولا يتمكن من استراحة.

ويقابله تمثيل حال المسلم الموحد، يقوم بما كلفه ربه، عارفا بمرضاته، مؤملا رضاه وجزاءه، مستقر البال، بحال العبد المملوك الخالص لمالك واحد، قد عرف مراد، مولاه وعلم ما أوجبه عليه، ففهمه واحد، وقلبه مجتمع، وكذلك الحال في كل متبع حق ومتبع باطل، فإن الحق هو الموافق لما في الوجود والواقع، والباطل مخالف لما في

(١) صحيح البخاري، كتاب: "التفسير"، باب "لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم" رقم: "٤٧٧٦".

الواقع، فمتبع الحق لا يعترضه ما يشوش عليه باله، ولا ما يثقل عليه أعماله، ومتبع الباطل يتعثر به في مزالق الخطى، ويتخبط في أعماله بين تناقض وخطأ"(١).

وفي المقابل فإن الكافر المشرك بالله تعالى يفقد توازنه النفسي بسبب كفره، ويعيش الخوف الحقيقي نتيجة عدم إيمانه، قال تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾[آل عمران:١٥١].

ويظهر أثر هذا التوازن النفسي في تحرير النفس من الخوف مما سوى الله تعالى، والاطمئنان بالتعلق بالله تعالى، والخوف منه عز وجل. ففي توحيد الله تعالى، والحذر من الشرك، خوف من الله تعالى دون غيره، قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾[النحل:٥١]، وفي الآية: "انتقال الكلام من تقرير دليل وحدانية الله على وجه كلي إلى تعيين هذا الواحد أنه الله منزل القرآن تحقيقا لتقرير العقيدة الأصلية. وفي هذا الالتفات اهتمام بالرهبة لما في الالتفات من هز فهم المخاطبين"(٢).

يقول البقاعي: "فمن لم يوحدني أوقعت به بقوتي ما لا يطيقه لعجزه، ولما كانت الوحدانية مما لا يخفى على عاقل، وكانت مركوزة في كل فطرة، بدليل الاضطراب عند المحن، والشدائد والفتن، وكانت الرهبة خاصة بالخوف مما خالف العاصي فيه العلم، عبر بها فقال تعالى: ﴿فَارْهَبُونِ﴾ مختصاً بذلك، ولا تخافوا شيئاً غيري من صنم ولا غيره، فإنه ليس لشيء من ذلك قدرة، وإن أودعته فإنه لا يتمكن من إنفاذها، فالأمر كله إليّ وحدي"(٣).

---

(١) التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي٢٣/٤٠١-٤٠٢، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

(٢) التحرير والتنوير، ١٤/١٧٤ .

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١١/١٧٧.

فالإيمان بالله تعالى يحصن المؤمن بولاية الله تعالى، ويفقد الكافر ولاية الله تعالى، فلا يجد له ناصرا من دون الله عز وجل،﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾[محمد:١١]، فالأصل أن الإيمان بالله تعالى يجعل المؤمن متصفا بالسكينة والاطمئنان، وأن الكافر دائما في قلق وحيرة واضطراب وخوف ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[الأنعام:٨١].

فالإسلام والإيمان طريقان لتجنب الخوف، قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[البقرة: ١١٢]، وقال: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾[طه:١١٢]، ومنه قوله عز وجل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور:٥٥].

ونتيجة ذلك كله أن يحصل العبد على السعادة الحقيقية، وقد جعلها النبي ﷺ في شهادة التوحيد وتحقيقها، وجعل الفلاح متوقفا عليها، عن ربيعة بن عباد الديلي ﵁، وكان جاهليا أسلم، فقال: رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز، يقول: "يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا " ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحدا يقول شيئا، وهو لا يسكت، يقول: "أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا"[1].

ومن أعظم مقاصد العقيدة أن يستشعر القلب حلاوتها، ويتذوق سعادتها، فإذا ما آمن العبد بالله تعالى ذاق طعم الإيمان في قلبه.

عن العباس بن عبد المطلب ﵁، أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا"[2].

وحدد النبي ﷺ علامات ذوق حلاوة الإيمان، فعن أنس ﵁ عن النبي ﷺ قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما،

---

(1) مسند أحمد، رقم "١٦٠٢٣"، وإسناده حسن.

(2) صحيح مسلم: كتاب "الإيمان"، باب "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا"، رقم "٥٦".

وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار "[1].

٧ – التحاكم لله والخضوع له

إن من مقاصد آيات العقيدة في القرآن الكريم التحاكم إلى الله تعالى، ورد الأمر إليه، فهو الحكم العدل الذي يرجع الأمر إليه.

فعلامة الإيمان التي تدل على كمال غايته، وبلوغ مراتبه العالية، وتحقيق ﴾ [النساء:٥٩]، فشرط الإيمان بالله تعالى أن يحكم الله ورسوله عند الخلاف والنزاع، وقد نفي الله تعالى الإيمان عن الذين لا يحكمون الله تعالى ورسوله ﷺ فيما يحدث من نزاع وشجار ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥].

فمرد الأمر عند النزاع إلى الله تعالى، وهذه علامة الإيمان، ودليل ألوهية الله تعالى وربوبيته على خلقة ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ [الشورى:١٠].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"[2].

وبين أن إنزال الكتاب على الرسل غايته تحكيمه فيما بينهم، فقال: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ ﴾[النساء:١٠٥]، وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ

---

(١) متفق عليه: البخاري: كتاب "الإيمان"، باب "حلاوة الإيمان"، رقم "١٦".
مسلم: كتاب "الإيمان"، باب "بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان"، رقم "٤٣".

(٢) كتاب السنة لابن أبي عاصم، باب "ما يجب أن يكون هوى المرء تبعا لما جاء به النبي ﷺ"، رقم "١٥"، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
وعزاه النووي في (الأربعين النووية) إلى كتاب (الحجة) لأبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، وقال: حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.
الأربعون النووية، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عُنِيَ بِهِ: قصي محمد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشيخي، ص ١١٣، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
وقال الحافظ ابن حجر: "أخرجه الحسن بن سفيان وغيره ورجاله ثقات".
فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، ١٣/ ٢٨٩، دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ.

﴿ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ [المائدة:٤٨].

وبين أن ابتغاء الحكم عند غير الله مع وجود الكتاب الذي أنزله فيه تفصيل حكم الله تعالى يدعو للتعجب، فقال: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[الأنعام:١١٤].

وهذا مقصد عام عند أنبياء الله تعالى ورسله أصحاب الكتب السماوية التي نزلت عليهم، فغاية إنزالها -أيضا- الحكم بين الناس، ورد الأمر لله عز وجل، قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [البقرة:٢١٣].

ويبين أن غاية ومقصد الإيمان بالله تعالى التحاكم إلى شرعه وأمره في كل حالات المسلم، وأن هذا طريق وعظ ونصح لا يستقيم عليه إلا المؤمنون، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾[البقرة:٢٣٢].

وأخبر سبحانه وتعالى عن الأمم السابقة أنهم تركوا التحاكم إلى الله تعالى، واتبعوا أحبارهم ورهبانهم وأطاعوهم فكان ذلك دليلا على أنهم اتخذوهم أربابا من دون الله، فلم يحققوا الإيمان، ووقعوا في الشرك، قال تعالى:﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣١].

وقد بين النبي ﷺ المراد بالآية الكريمة في الحديث الشريف، عن عدي بن حاتم، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: "يا عدي اطرح عنك هذا الوثن"، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ، قال: "أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه"(١).

(١) سنن الترمذي، كتاب "تفسير القرآن"، باب "ومن سورة التوبة"، رقم"٣٠٩٥".

٨ – الموالاة والمعاداة

من مقاصد العقيدة التي أشار إليها القرآن الكريم والسنة النبوية تحقيق الموالاة والمعاداة، والمحبة لله، والبغض لله، وبين أن حقيقة الإيمان لا تتحقق حتى يتحقق الولاء والبراء، والمحبة والبغض لله تعالى، عن عمرو بن الجموح ﷺ، أنه سمع النبي ﷺ يقول: "لا يحق العبد حق صريح الإيمان حتى يحب لله، ويبغض لله، فإذا أحب لله، وأبغض لله، فقد استحق الولاء من الله، وإن أوليائي من عبادي، وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري، وأذكر بذكرهم"(١).

وبين أن اكتمال الإيمان إنما يكون بالحب في الله والبغض في الله، عن أبي أمامة ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان"(٢).

وعدها النبي ﷺ أوثق عرى الإيمان، "عن البراء بن عازب ﷺ، قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ فقال: "أي عرى الإسلام أوثق؟"، قالوا: الصلاة، قال: "حسنة، وما هي بها؟" قالوا: الزكاة، قال: "حسنة، وما هي بها؟" قالوا: صيام رمضان. قال: "حسن، وما هو به؟" قالوا: الحج، قال: "حسن، وما هو به؟" قالوا: الجهاد، قال: "حسن، وما هو به؟" قال: "إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله"(٣).

وهو علامة على الإيمان، عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: "آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار"(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"(٥).

وبين المولى تبارك وتعالى أن اكتمال الإيمان إنما يكون بمعاداة أعداء الله تعالى مهما كانت قرابتهم، فالمعاداة مقصد من مقاصد الإيمان، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا

---

(١) مسند أحمد، رقم "١٥٥٤٩".

(٢) سنن أبي داود: كتاب "السنة"، باب "الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه"، رقم "٤٦٨١"، والحديث صحيح.

(٣) مسند أحمد، رقم "١٨٥٢٤"، وهو حديث حسن بشواهده.

(٤) متفق عليه: البخاري: كتاب "الإيمان"، باب "علامة الإيمان حب الأنصار"، رقم "١٧".

مسلم: كتاب "الإيمان"، باب "الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان"، رقم "٧٤".

(٥) صحيح مسلم: كتاب "الإيمان"، باب "بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها"، رقم "٩٣".

يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[المجادلة:٢٢].

٩ - التوكل والتماس الرزق من الله

إن الإيمان بالله تعالى حقيق أن يدفع صاحبه إلى اليقين بالله تعالى، والتوكل والاعتماد عليه، وهذا مقصد للإيمان، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[هود:١٢٣].

وإنما يجب التوكل على الله تعالى لأنه متصف بكل صفات الكمال والجلال، ولأن من صفاته تعالى الحياة الدائمة، قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨].

وإنما يتوكل على الله تعالى من صح إيمانه، وقوي يقينه، فالتوكل علامة الإيمان وشعاره، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾[إبراهيم:١١].

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[المائدة:٢٣].

وفي المقابل نعى الله تعالى على أقوام يبتغون الرزق والفضل من غير الله تعالى، فبين أن الرزق لا يكون إلا من الخالق، فهو وحده الذي يستحق أن تتوجه إليه الأنظار، وتطلب منه الحاجات، ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾[فاطر:٣] فكأم الآية تشير إلى أن الله تعالى الخالق المتصف بصفات العظمة هو الذي يقدر على الرزق دون سواه.

ويعيب على من يتوجه بالعبادة إلى غير الله تعالى لأنه يتوجه إلى غير قادر، فلا يجلب له نفعا، ولا يدفع عنه ضرا، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت:١٧]، فالله الخالق لتبتغي عنده الرزق لا عند غيره.

وبين ﷺ أن الإيمان بالله تعالى يعطي للعبد قوة بالتوكل على الله عز وجل، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير

احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"(١).

وعلمنا النبي ﷺ أن زوال الكرب بالتوكل على الله تعالى؛ لأنه لا إله إلا هو، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب يقول: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض، ورب العرش العظيم"(٢).

وعن عبد الرحمن بن أبي بكره، عن أبيه ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، أصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت"(٣).

وفي الإيمان بالله تعالى راحة نفسية لمن توكل عليه عز وجل، سواء في مواطن النعمة إم في مواطن البلاء، عن صهيب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له"(٤).

١٠ – استحقاق الشفاعة يوم القيامة

من مقاصد تثبيت العقيدة في النفوس أن يسعد صاحبها بنيل شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة، فهي لا تتحقق إلا لمن حقق التوحيد الخالص، عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: "لقد ظننت –يا أبا هريرة– ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه"(٥).

---

(١) صحيح مسلم: كتاب "القدر"، باب "في الأمر بالقوة وترك العجز"، رقم "٢٦٦٤".

(٢) متفق عليه: البخاري: كتاب "الدعوات"، باب "الدعاء عند الكرب"، رقم "٦٣٤٥".

مسلم: كتاب "الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار"، باب "دعاء الكرب"، رقم "٢٧٣٠".

(٣) مسند أحمد، رقم "٢٠٤٣٠".

السنن الكبرى للنسائي: كتاب "عمل اليوم والليلة"، باب "ما يقول عند الكرب إذا نزل به"، رقم "١٠٤١٢".

صحيح ابن حبان: كتاب "الأدعية"، باب "وصف دعوات المكروب"، رقم "٩٧٠".

(٤) صحيح مسلم: كتاب "الزهد والرقائق"، باب "المؤمن أمره كله خير"، رقم "٢٩٩٩".

(٥) صحيح البخاري: كتاب "العلم"، باب "الحرص على الحديث"، رقم "٩٩".

وأخبر المولى عز وجل عن مستحق الشفاعة يوم القيامة أنه من حقق التوحيد، وشهد الشهادتين، قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [طه:١٠٩]، قال ابن عباس: يعني قال لا إله إلا الله[1].

وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٨]، قال الطبري: "قال ابن عباس: الذين ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلا الله"[2].

وقد وعد النبي ﷺ بالشفاعة لمن أتى بالتوحيد الذي لا يخالطه شائبة شرك يوم القيامة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا"[3].

١١ – الرحمة بالخلق

إن من غايات العقيدة كما يقرر القرآن الكريم الرحمة بالخلق في كل أحوالهم، فما أرسل الله تعالى رسله ولا أنزل كتبه إلا رحمة بالخلق جميعا، قال تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، فإرسال الرسل إنما هو لأجل الرحمة بالخلق أجمعين.

ومقصد إنزال الكتب وغايته كما يقرر القرآن الكريم رحمة الله تعالى بعباده، قال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام:١٥٥]، وبين أن القرآن الكريم رحمة من الله تعالى ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[يونس:٥٧]، وقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء:٨٢].

ثم إن الإيمان بأصول العقائد سبب لنيل رحمة الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، أو تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٢٧٥/٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٤٢٩/١٨، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

(٣) صحيح مسلم: كتاب "الإيمان"، باب "اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته"، رقم "٣٣٨".

وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[الأعراف:١٥٦-١٥٧].

فاتباع النبي، والإيمان بالكتب السماوية سبب لنيل رحمة الله تعالى.

١٢ – وحدة الأمة

إن تحقيق وحدة الأمة، واعتصامها بكتاب الله، واجتماعها على كلمة سواء، مقصد من مقاصد العقيدة في القرآن الكريم، إذ هو مقصد لإرسال الرسل جميعا، قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [البقرة:٢١٣].

ويبين المولى سبحانه أن ما كان عليه الأنبياء السابقون، هو ما شرعه الله تعالى لنبيه ﷺ، وغايته إقامة الدين، وعدم التفرق، والاجتماع، قال سبحانه: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[الشورى:١٣].

وهذا وعد من الله تعالى للأمة إن وفت به كانت النتيجة من الله عز وجل، فإذا آمنت بالله تعالى، استخلفها الله في الأرض ورزقها الأمن في الدنيا، قال سبحانه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[النور:٥٥].

وبين ﷺ أن الإيمان بالملائكة يؤدي إلى الاقتداء بهم في الوحدة والاصطفاف، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: "ما لي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذناب خيل شمس؟ اسكنوا في الصلاة" قال: ثم خرج علينا فرآنا حلقا فقال: "مالي أراكم عزين" قال: ثم خرج علينا فقال: "ألا تصفون كما تصف الملائكة عند

ربها؟" فقلنا يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: "يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف"(١).

وأخبر ﷺ الإيمان بالله تعالى يعصم من الوحدة والتفرق، وأن الشيطان يسعى لبث الفرقة بين المسلمين، عن جابر ﷺ، قال: سمعت النبي ﷺ، يقول: "إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم"(٢).

١٣ – القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ومن مقاصد التوحيد التي لا يتم إلا بها القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتحقيقه دليل على كمال الإيمان، وتضييعه دليل على ضعف الإيمان، عن طارق بن شهاب قال: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل، فقال: الصلاة قبل الخطبة، فقال: قد ترك ما هنالك، فقال أبو سعيد ﷺ: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"(٣).

وبين الله عز وجل أن أخص صفات المؤمن أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فقال سبحانه: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۢ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٧١]

وبين النبي ﷺ أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأي صورة من صوره يخرج صاحبه من الإيمان الكامل، عن عبد الله بن مسعود ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون،

---

(١) صحيح مسلم: كتاب "الصلاة"، باب " الأمر بالسكون في الصلاة، والنهي عن الإشارة باليد، ورفعها عند السلام، وإتمام الصفوف الأول والتراص فيها والأمر بالاجتماع"، رقم "٤٣٠".

(٢) صحيح مسلم: كتاب "صفة القيمة والجنة والنار" ، باب "تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا"، رقم"٢٨١٢".

(٣) صحيح مسلم: كتاب "الإيمان"، باب "بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان"، رقم "٤٩".

ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"[١].

ومن المقرر عند أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقد بين الأمام مسلم في صحيحه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يزيد به الإيمان حين قال: "باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان"[٢].

(١) صحيح مسلم: كتاب "الإيمان"، باب "بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان"، رقم "٥٠".

(٢) صحيح مسلم: كتاب " الإيمان"، باب "بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان".

الخاتمة

بعد هذا العرض الوجيز لمقاصد العقائد في القرآن الكريم والسنة النبوية يمكن استخلاص بعض النتائج على النحو التالي:

١ – إن التماس الحكم والمقاصد في العقيدة مطلوب، كما هو منهج العلماء في مسائل الفقه والشريعة، فكما أن العلماء قد اجتهدوا في بيان الحكمة والمقصد في المسائل الفقهية، وتوسعوا في ذلك، فينبغي أن تتوجه الأنظار إلى بيان الحكم والمقاصد في مسائل الاعتقاد.

٢ – اعتنى القرآن الكريم، والسنة النبوية بذكر نصوص العقيدة مقرونة بمقاصدها، والحديث عن آثارها العملية والسلوكية في حياة المسلم، ومخاطبته الوجدان القلبي واليقين العقلي على حد سواء.

٣ – إن الاهتمام بمقاصد العقيدة يعطي كلا من العقل والقلب والجوارح نصيبه وحظه من آيات الاعتقاد على الوجه الذي أراده الله تعالى، والحكمة التي شرعها.

٤ – إن غياب الاهتمام بمقاصد العقيدة أدى إلى ابتعاد المتكلمين ومن سار على نهجهم عن الهدف الأسمى الذي أراده الله تعالى، والانشغال بقضايا جدلية لا تثمر يقينا، ولا تضبط سلوكا.

٥ – إن تتبع آيات الاعتقاد في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة يبين لنا بعضا من المقاصد التي شرعها الله تعالى للدلالة على مراد الله تعالى من العقيدة، وقد ذكرت عشرة مقاصد منها، ومن تأمل وتدبر في القرآن الكريم والسنة النبوية تفتحت له أبواب من المقاصد والحِكَم.

أسأل الله تعالى أن يكون هذا البحث –على اختصاره– لبنة ينبني عليها حديث موسع عن مقاصد العقيدة كما يعرضها القرآن الكريم والسنة النبوية.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه

د/ عبد التواب محمد محمد

مدرس العقيدة والفلسفة – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

فهرس المراجع والمصادر

١ – الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي، دار الكتب العلمية –بيروت، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٢ – الاجتهاد المقاصدي حجيته ضوابطه مجالاته، الدكتور نور الدين بن مختار الخادمي، كتاب الأمة – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – قطر، الطبعة الأولى، جمادى الأولى ١٤١٩هـ سبتمبر ١٩٩٨م.

٣ – الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان.

٤ – الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة – بيروت.

٥ – إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة – بيروت.

٦ – الأربعون النووية، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عُنِيَ بِهِ: قصي محمد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشيخي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٧ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٨ – البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار الكتبي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٩ – البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني إمام الحرمين أبو المعالي، تحقيق الدكتور: عبد العظيم محمود الديب، دار الوفاء، المنصورة – مصر، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ .

١٠ – التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

١١ – تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١٢ – تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٣ – جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

١٤ – حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد، حققه وعلق عليه الدكتور: علي جمعة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

١٥ – سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٦ – سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

١٧ – السنة، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

١٨ – صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

١٩ – الشاطبي ومقاصد الشريعة، الدكتور حمادي العبيدي، دار قتيبة للنشر والتوزيع، بيروت– دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٢٠ – ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، بتصرف، مؤسسة الرسالة، بدون.

٢١ – غاية المرام في علم الكلام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.

٢٢ – فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ.

٢٣ – فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.
٢٤ – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
٢٥ – لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٢٦ – مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
٢٧ – محاضرات في مقاصد الشريعة، الدكتور: أحمد الريسوني، دار الكلمة للنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م.
٢٨ – مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٢٩ – معالم التنزيل في تفسير القرآن أو تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٣٠ – المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسدابادي، تحقيق الأستاذ: محمد علي النجار، والأستاذ: عبد الحليم النجار، مراجعة الدكتور: إبراهيم مدكور، إشراف الدكتور: طه حسين.
٣١ – مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.
٣٢ – مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٣ – مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الخامسة ١٩٩٣م.

٣٤ – مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤م.

٣٥ – مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، الدكتور عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية ٢٠٠٨م.

٣٦ – مقاصد الشريعة في كتابات محمد المبارك، د. حجيبة شيدخ، بحث منشور في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، العدد ٣٧، ١٤٣٧هـ ٢٠١٦م.

٣٧ – مقاصد العقائد عند الإمام العز بن عبد السلام جمعا ودراسة، رسالة ماجستير في جامعة الجزائر – كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، إعداد الطالب: عبد القادر بو طيب، إشراف الأستاذ الدكتور: عمار جيدل، العام الجامعي ١٤٣٣: ١٤٣٤هـ – ٢٠١٢: ٢٠١٣م.

٣٨ – مقاصد العقائد عند الشيخ الطاهر بن عاشور، عبد الرؤوف تاج الدين صوان، رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية – جامعة الجزائر، العام الجامعي ١٤٣٧ – ١٤٣٨هـ ٢٠١٦ –٢٠١٧م.

٣٩ – مقاصد العقائد في القرآن الكريم، محمد محمود أبو الرب، رسالة ماجستير بجامعة آل البيت – الأردن، غير منشورة العام الدراسي ٢٠٠٥– ٢٠٠٦م.

٤٠ – المقاصد العقدية في القصص القرآني (قضايا ونماذج – أبعاد ودلالات)، الدكتور الزايدي الطويل، دار الكتب العلمية،

٤١ – المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، طبعة الجفان والجابي – قبرص، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.

٤٢ – من العقيدة إلى مقاصد العقيدة، حميد العساتي، مجلة المدونة – مجلة فقهية فصلية محكمة تصدر عن مجمع الفقه الإسلامي بالهند، العدد الثالث عشر، ٢٠١٧/٧م.

٤٣ – نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٤٤ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.

٤٥ – نهاية الإقدام في علم الكلام، عبد الكريم الشهرستاني، حرره وصححه: الفريد جيوم.